

## المبحث الرابع

### معرفة الله عند المتكلمين

- معرفة الله عند المعتزلة.
- الأشاعرة وإثبات وجود الله -تعالى-.
- الأدلة على وجود الله تعالى وربوبيته عند أهل السنة والجماعة.

## المبحث الرابع معرفة الله عند المتكلمين

- معرفة الله عند المعتزلة:

يرى المعتزلة أن معرفة الله تعالى لا تُنالُ إلى عن طريق العقل لا السمع. ومعنى ذلك أنهم يقدمون الأدلة العقلية على الأدلة النقلية، يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: «الدلالة أربعة، حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، ومعرفة الله لا تنالُ إلا بحجة العقل. لأن ما عداها - أي حجة العقل - فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده وعدله، فلو استدللنا بشيء منها على الله، والحال هذه كنا مستدلين بفرع الشيء على أصله، وذلك لا يجوز فإن الكتاب إنما ثبت حجة متى ثبت أنه كلام عدل حكيم لا يكذب، ولا يجوز عليه الكذب، وذلك فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده وعدله، وأمّا السنة فلأنها إنما تكون حجة متى ثبت أنها سنة رسول عدل حكيم، وكذا الحال في الإجماع، لأنه إمّا أن يستند إلى الكتاب في كونه حجة، أو إلى السنة، وكلاهما فرعان على معرفة الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

ويرى المعتزلة أن معرفة الله تعالى لا تتحقق إلا عن طريق النظر، ويقصّدون بذلك النظر في الدلالة عن طريق الفكر والتأمل العقلي فيقولون: معنى النظر، الفكر، والفكر هو تأمل حال الشيء، والتمثيل بينه وبين غيره، أو تمثيل حادثة من غيرها<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني عندهم أن معرفة الله تعالى تحقق بالفكر والنظر لا

(١) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ٨٩، ٨٨.

(٢) القاضي عبد الجبار، المعنى، ص ٥.

بالضرورة المشاهدة. والمعتزلة يستدلون على قدم الخالق سبحانه وتعالى بحدوث العالم.

ويُعد القول بحدوث العالم من الأمور البديهية والمسلمة، ومع ذلك فإن المعتزلة أجهدوا أنفسهم بالحجج العقلية للاستدلال على حدوث العالم فهم يثبتون أولاً وجود الأعراض، ثم يقومون بإثبات حدوثها، وما دام العالم حادث، فإن لكل حادث مُحدث، فالعالم إذاً له رب خلقه وأحدثه كما يعتقدون.

والمعتزلة يثبتون حدوث الأعراض بما يجري عليها من العدم والبطلان، فإنها لو كانت قديمة لما جاز عليها ذلك. وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار: «وأمّا حدوثها، فالذي يدلُّ عليه هو ما قد ثبت أنه يجوز عليها العدم والبطلان. أمّا الدليل على أن الأعراض يجوز عليها العدم، فهو ما ثبت أن المجتمع إذا افترق بطل اجتماعه، وأن المتحرك إذا سكن بطلت حركته. وأمّا الدليل على أن القدم لا يجوز عليه العدم، فهو ما قد ثبت، أن القدم قدم لنفسه، والموصوف بصفة من صفات النفس لا يجوز خروجه عنها بحال من الأحوال»<sup>(١)</sup>.

وكما أثبت المعتزلة حدوث الأعراض بما يجري عليها من العدم، والقدم لا يجوز عليه العدم. فكذلك أثبتوا حدوث الأجسام، لأنها تحتاج إلى مُحدث لها وفاعل. يقول القاضي عبد الجبار: «والطريق إلى معرفة حدوث الأجسام طرق ثلاثة: أحدهما: أن نستدل بالأعراض على الله تعالى، ونعرفه بتوحيده وعدله، ونعرف صحة السمع، ثم نستدل بالسمع على حدوث الأجسام. والثاني: أن نستدل بالأعراض على الله تعالى ونعلم قدمه، ثم نقول: لو كانت الأجسام قديمة، لكانت

(١) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ٩٤.

مثلاً لله تعالى، لأن القلم صفة من صفات النفس، والاشترك في صفة من صفات النفس يوجب التماثل، ولا مثل لله تعالى، فيجب أن لا تكون قديمة فوجب أن تكون محدثة.

والثالث: هو الدلالة المعتمدة، وأول من استدل بها شيخنا أبو الهزيل العلاف، وتابعه بقية الشيوخ -أي شيوخ المعتزلة-، وتحريرها هو أن نقول: أن الأجسام لم تنفك من الحوادث، ولم تتقدمها، وما لم يخل من المحدث ولم يتقدمه يجب أن يكون محدثاً مثله<sup>(١)</sup>.

ويؤكد المعتزلة على حقيقة أن الأجسام إذا لم تنفك عن الأعراض الحادثة ولم تتقدمها فهي حادثة ويقولون: «والدليل على صحة ما نقوله، هو أن الجسم إذا لم يخل من هذه الحوادث كحفظها وحظ هذه المعاني في الوجود أن تكون حادثة وكائنة بعد أن لم تكن، فوجب في الجسم أن يكون محدثاً أيضاً وكائناً بعد أن لم يكن»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نلاحظ أن المعتزلة بطريقتهم العقلية المتكلفة الجافة حاولوا إثبات حدوث الأعراض والأجسام، ليحققوا بذلك حدوث العالم، وما دام العالم مُحدث، فلا بد له من مُحدث. يقول أبو الحسين البصري: «استدل شيوخنا -أي شيوخ المعتزلة- رحمهم الله، على أن الأجسام تحتاج إلى محدث، بأن تصرفنا يحتاج إلى مُحدث، لأجل أنه مُحدث فكان حدوث كل محدث يوجهه إلى محدث، فإذا كانت الأجسام محدثة، احتاجت إلى محدث»<sup>(٣)</sup>.

(١) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ٩٤.

(٢) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ١١٣.

(٣) ابن تيمية، درء التعارض، ج ٨، ص ٢٩٥.

## الأشاعرة وإثبات وجود الله تعالى

يرى الأشاعرة أن الإقرار بربوبية الله عز وجل واجب على كل مكلف، واعتبروه أول الواجبات. يقول الإيجي: «معرفة الله تعالى واجبة إجماعاً وهي لا تتم إلا بالنظر، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»<sup>(١)</sup>.

ومعنى ذلك أن الأشاعرة يتفقون مع المعتزلة بأن معرفة الله تعالى طريقها الاستدلال والنظر العقلي. يقول فخر الدين الرازي: "إن الطريق إلى إثبات الصانع ومعرفة النبوة ليس إلا بالعقل"<sup>(٢)</sup>.

ولعل من الغلو الواضح تقدم العقل على النقل في إثبات ألوهية الله تعالى، وهم -أي الأشاعرة- يرون كالمعتزلة -أن العقل هو أصل ثبوت النقل فيكون- في رأيهم -الاستدلال بالنقل تقدم الاستدلال بالفرع أي "النقل" على الأصل أي العقل. ومن هنا فإن معظم الأشاعرة يعظمون الأدلة العقلية، بل ويعتبرون الأدلة النقلية ظنية الدلالة.

يقول الإيجي في المواقف: «ما يتوقف عليه النقل، مثل وجود الصانع، ونبوة محمد ﷺ فهذا لا يثبت إلا بالعقل، إذا لو ثبت بالنقل لزم الدون»<sup>(٣)</sup>.

إلا أن الإيجي يستدرك على نفسه فيرى أن الأدلة النقلية قد تفيدُ

(١) الإيجي، المواقف، ص ٣٩.

(٢) ابن تيمية، درء التعارض، ج ٥، ص ٢٣١.

(٣) الإيجي، المواقف، ص ٣٩.

اليقين بالقرائن المتواترة فيقول: الحق أن الدلالة النقلية قد تفيد اليقين بقرائن مشاهدة أو متواترة تدل على انتفاء الاحتمالات (١).

### الأشاعرة والاستدلال على أن الخالق سبحانه وتعالى قديم:

يستخدم الأشاعرة منهج المعتزلة في إثبات القدم للخالق سبحانه وتعالى عن طريق إثبات حدوث العالم. وتقوم طريقتهم على أربعة أصول هي: إثبات وجود الأعراض القائمة بالأجسام، وإثبات حدوث الأعراض، وإثبات أن الأجسام لا تنفك من الأعراض ولا تسبقها، وأخيراً إثبات أن ما لا يخلو من الحوادث ولا يسبقها فهو حادث فبالنسبة لإثبات وجود الأعراض القائمة بالأجسام فإن الأشاعرة يثبتون ذلك بملاحظة ما يجري على الأجسام من تغيرات كالحركة بعد السكون، وكالتفرق بعد الاجتماع، يقول الإمام الباقلاني في الإنصاف: "والدليل على ثبوت أعراض الجسم، تحرك الجسم بعد سكونه، وتفرقة صفاته، فلو كان متحركاً لنفسه، ومتغيراً لذاته لوجب تركه في حال سكونه، وتغيره واستحالة في حال اعتداله، وفي بطلان ذلك دليل على إثبات حركته وسكونه، وألوانه وأكوانه، وغير ذلك من صفاته" (٢).

وهكذا يحاول الأشاعرة إثبات وجود الأعراض وقيامها بالأجسام، عن طريق ما يجري على الأجسام من تغيرات مختلفة، وهذا التغير إنما يكون لمعنى خارج عنها، وهو وجود الأعراض.

ثم يقول الأشاعرة بإثبات حدوث الأعراض بما تكون عليه من التنافي والتضاد، وهذا يثبت حدوثها عدم قدمها لما يحدث عليها من

(١) مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢) الباقلاني، الإنصاف، ص ٢٨.

أضداد مثل بطلان الحركة عند السكون وهذا البطلان أو العدم لا يطرأ على القدم وهذا يدل على حدوث تلك الأعراض لأن القدم لا يحدث ولا يعدم ولا يبطل.

ثم بعد ذلك قام الأشاعرة بإثبات أن الأجسام لا تنفك من الأعراض ولا تسبقها فيستحيل تعري الأجسام عن الأعراض، يقول الإمام الجويني وهو رأس من رؤوس الأشاعرة: «إننا ببديهة العقل نعلم أن الجواهر القابلة للاجتماع والافتراق لا تعقل غير متماسة ولا متباينة»<sup>(١)</sup>.

أمّا أهم أصول المعتزلة في إثبات الأجسام والجواهر فهو الأصل الرابع، حيث يذكرون فيه أن ما لا يخلو من الحوادث ولا يسبقها فهو حادث. يقول الجويني في الإرشاد: "إذا ثبت بما ذكرناه، الأعراض وحوادثها، واستحالة تعري الجواهر عنها، واستنادها إلى أول، فيخرج من مضمون هذه الأصول أن الجواهر لا تسبقها، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث على الاضطرار من غير حاجة إلى نظر واعتبار"<sup>(٢)</sup>.

يقول الإمام الباقلاني في الإنصاف: وإذا اتضح حدوث العالم، فلا بد له من محدث أحدثه، ومصور صورته، والدليل على ذلك أن الكتابة لا بد لها من كاتب كتبها، والبصورة لا بد لها من مصور صورها، والبناء لا بد له من بناء بناه، فإننا لا نشك في جهل من أخيرنا بكتابة حصلت بنفسها لا من كاتب، وصناعة لا من صانع، وحياسة لا من ناسج، وإذا صح هذا وجب أن تكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها ومحدث أحدثها، إذا كانت ألطف وأعجب صنعاً من

(١) الجويني، الإرشاد، ص ١٥.

(٢) مرجع سابق، ص ١٦.

سائر ما يتعذر وجوده إلا من صانع<sup>(١)</sup>.

وهكذا حاول الأشاعرة إثبات حدوث العالم بقسميه الجواهر والأعراض، ليقولوا بعد ذلك أن العالم الحادث لا بد له من مُحدث أحدثه وإليه خلقه وهو الله سبحانه وتعالى، وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة<sup>(٢)</sup>.

كما حاولوا - كالمعتزلة - أن يردوا على الفلاسفة القائلين بقدوم العالم وبوقوع حوادث لا أول لها، بإثبات القول بامتناع حوادث لا أول لها، ردوا على هؤلاء الفلاسفة بدليل سموه بدليل التطبيق وهو كما يقول المفخر الرازي: إذا فرضنا الحوادث الماضية من اليوم إلى الأزل جملة، ومن زمان الطوفان إلى الأزل جملة أخرى، فلا شك أن الجملة الأولى أزيد من الجملة الثانية بما بين زمان الطوفان إلى هذا اليوم، فإذا طبقنا في الوهم الطرف المتناهي من الجملة الزائدة على الطرف المتناهي عن الجملة الناقصة حتى يقابل كل فرد من أفراد إحدى الجملتين بما يشابهه في المرتبة من الجملة الأخرى، فإن لم تنقضي الجملة الناقصة عن الزائدة في الطرف الآخر، كان الشيء مع غيره كهو، لا مع غيره، وهذا محال. وإن انقطعت الجملة الناقصة من ذلك الطرف، كانت متناهية من ذلك الطرف، وكانت متناهية من جانب الأزل، والزائد زاد عليها بمقدار متناه، والزائد على المتناهي بمقدار متناه يكون متناهيًا، فالكل متناه في جانب الأزل<sup>(٣)</sup>.

(١) الباقلائي، الإنصاف، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) الفزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٨٤.

(٣) الرازي، الأربعين في أصول الدين، ص ١٥.

## الأدلة على وجود الله تعالى وربوبيته

### عند أهل السنة والجماعة

#### دليل الفطرة:

إن الإيمان بوجود الله تعالى أمر مركوز في الفطرة، ولا ينكر ذلك إلا نفر من الملاحدة والدهريين، ومع ذلك فإنهم لا يملكون من أمرهم شيئاً عند الأزمات والشدائد فيضطرون إلى اللجوء إليه واستغاثة ودعائه.

وقد فطر الله الناس على دينه الإسلام، يقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: الإقرار بالله، والاعتراف بالصانع ثابت في الفطرة كما قرره سبحانه في كتابه في مواضع فلا يحتاج هذا إلى دليل، بل هو أرسخ المعارف وأصل الأصول<sup>(١)</sup>.

ومن أجل ذلك كانت دعوة رسل الله -صلى الله عليهم- لتذكير عباد الله بما فطر في نفوسهم وقلوبهم، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يُولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه».

#### دلالة خلق هذا الكون الفسيح، وآيات الله الكثيرة المبثوثة في الآفاق

#### والأنفس:

إن المتأمل في كتاب الله تعالى يجد من خلاله دعوة إلى النظر في الكون بما فيه من آيات مبثوثة في الآفاق والأنفس تبين كمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى يقول عز من قائل: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ ٢، ص ٧٢.

وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴿ [فصلت: ٥٣].

ويقول عز من قائل: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ [البقرة: ١٦٤].

إن الأدلة الكونية الدالة على وجود خالق عظيم أبدع كل شيء خلقه كثيرة، ويكفي أن ينظر الإنسان إلى نفسه ويتفكر في عظيم صنعه ليتحقق له عظمة خالقه. يقول العلامة ابن تيمية: «الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية، دل القرآن عليها، وهدى الناس إليها، وبينها وأرشد إليها وهي عقلية فإن كون نفس الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة ثم من علقه، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول ﷺ، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم سواء أخبر به الرسول ﷺ أو لم يخبر به الرسول ﷺ، أمر أن يستدل به ودل به وبينه واحتج به، فهو دليل شرعي، لأن الشارع استدل به، وأمر به وأمر أن يستدل به، وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته»<sup>(١)</sup>.

### المعجزة:

يعرف الجرجاني المعجزة بأنها: أمرٌ خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق مَنْ ادعى أنه

(١) ابن تيمية، النبوات، ص ٩٢.

رسول من الله<sup>(١)</sup>.

والمعجزة من أقوى الدلائل على وجود الله تعالى، ولهذا يسميها الله تعالى آيات بينات (فإن انقلاب عصا ثعلباً عظيمًا يتلغ ما يمر به ثم يعود عصا كما كانت من أول دليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكيليات والجزئيات وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأ والمعاد، فكل قواعد الدين في هذه العصا، وكذلك السيد، وفرق البحر طرقًا، والماء قائم بينهما كالحيطان، ونتق الجبل من موضعه، ورفع على قدر العسكر العظيم فوق رؤوسهم، وضرب حجر مربع بعصا فتسيل منه اثنتا عشرة عينًا تكفي أمة عظيمة، وكذلك سائر آيات الأنبياء مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله، وصدق رسله، واليوم الآخر. وهذه من طرق القرآن التي أرشد الله إليها عباده ودلهم بها كما دلهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوان والنبات والمطر والسحاب، والحوادث التي في الجو والأرض<sup>(٢)</sup>.

إن الاستدلال بالمعجزات من أفضل طرق الاستدلال على وجود الله تعالى وتصديق رسله ورسالاته.

(١) الجرجاني، التعريفات، ص ١٩٥.

(٢) ابن القيم، الصواعق المرسله، ج ٣، ص ١٩٧.